مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة السابعة، العدد الثاني عشر، ربيع و صيف ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م
صفحة ١٩- ٤٢

الإمام علي عليه السلام في شعر مهيار الديلمي

جعفر دلشاد[1]*، آزاده منتظري[2]

١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بجامعة أصفهان
٢. طالبة دكتوراه في قسم اللغة العربية بجامعة أصفهان

(تاريخ الاستلام: ٨٨/١/٢٢ ؛ تاريخ القبول: ٨٨/٤/١٢)

الملخّص

لقد احتلت شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام منذ صدر الإسلام مكانة مرموقة في الأدب العربي وخاصة الأدب الاسلامي وعلى الخصوص الأدب الشيعي، هذا من جانب ومن جانب آخر فقد كانت هذه الشخصية موضع اهتمام أدباء غير العرب أيضاً، ومن أشهر هؤلاء هو مهيار الديلمي الفارسي الأصل الذي عاصر الدولة البويهية.

لقد تناولت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي أشعار هذا الشاعر بعد أن اعتنق الدين الإسلامي وترك دين أسلافه الديانة المجوسية، فقد انصبّ توجّهه إلى مناقب الامام علي عليه السلام وفضائله من جانب ومن جانب آخر نجد الشاعر يلمّح بقضايا سياسية واجهها الإمام بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم منها: موضوع الخلافة وواقعة الغدير.

ووصلت المقالة إلى أنّ في أشعار مهيار دلالة واضحة على مدى اهتمام الشاعر وكذا ولائه الخاص لأمير المؤمنين علي عليه السلام ، لما كانت تحمله هذه الشخصية من صفات فذّة ومنزلة لدى الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم ، خاصة وكذا لدى المسلمين عامة.

الكلمات الرئيسية

الإمام علي عليه السلام ، مهيار الديلمي، السقيفة، الخلفاء الراشدون.

* الكاتب المسؤول الهاتف: ٠٩١٣٨٣٢٧٦٨٠ E-mail: azade.montazeri@yahoo.com

مقدمة

إن الإمام علي عليه السلام بشخصيته المتميزة أصبح موضع اهتمام شعراء الشيعة عبر عصور متمادية سواءً كانوا من الأصل العربي أو غيره، وإن القيام بهذا المهم لا يختص بشعراء العرب فحسب، بل هناك بعض الشعراء الشيعة الذين ينتمون إلى أصول فارسية، وقد أعربوا عن حبّهم إزاء أهل البيت عليهم السلام ، منهم مهيار الديلمي الشاعر الفارسي الأصل الذي عاصر البويهيين.

ولقد شغف مهيار الديلمي بحبّ أهل البيت عليهم السلام حتى قبل اعتناقه الإسلام، فقد مدح أمير المؤمنين وابنه الحسين عليهما السلام ، ورثاهما قبل إسلامه بعامين سنة ٣٩٢هـ بفائيته المشهورة التي مطلعها:

يـزوِّرُ عـن "حسـناءَ" زورة خـائف تعرّض طيف آخر الليل طائفِ

(الديلمي، ١٩٢٥، ج٢، ص٢٥٩)

والتي يقول فيها:

أبا "حسنٍ" إن أنكروا الحقّ [واضحا] علـى أنـه والله إنكـارُ عـارفِ
أخصّـكَ بالتفضـيل! إلاّ لعلمـهِ بعجزهمُ عن بعض تلك المواقفِ
نـوى الغـدرَ أقـوامٌ فخـانوك بعـدَه ومـا آنـفٌ في الغـدرِ إلاّ كسـالفِ

(م.ن، ص٢٦١)

وهكذا يتبين لنا أن حب أهل البيت عليهم السلام قد تأصلّ في قلب الشاعر قبل سنوات من إسلامه ومن أسباب ذلك:

إن مهيار كان فارسي العنصر ينتسب إلى أسرة ديلمية، والديلم كانت مركزاً لإحدى الدعوات الشيعية على يد الحسن بن زيد (ضيف، ١٩٨٠، ج٥، ص٥٠٩)، والتي رسخت الانتماء للتشيع في نفوس الديالمة إلى حدّ بعيد.

ومنها: أن الشاعر قد ولد في فترة سيطرة البويهيين الشيعة على مقاليد الأمور والخلافة ببغداد.

ومنها: اتصاله بالشريف الرضي، زعيم العلويين ونقيب الطالبيين، وكان ذلك الاتصال ذا أثر كبير في عقيدته واتّجاهه الفكري.

لقد تناول هذا البحث أشعار مهيار العلوية التي تبلغ أبياتها إلى مائة ونيف بيت وقد تطرّق خلالها إلى آراء الشاعر في مواجهة تلك القضايا التي تعرّضت للإمام علي عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ أنه أشار الى موضوع الخلافة وواقعة الغدير، وكذا ذكر بعض ميزات شخصية الإمام عليه السلام المثالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فضلا عن بيانه لقضية مشاركة أمير المؤمنين علي عليه السلام في جميع حروب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما حدث في صدر الاسلام إزاء الكفار والمشركين.

حياة مهيار الديلمي

هو مِهيار بن مَرْزَوَيْه الشاعر الكاتب الفارسي الديلمي البغدادي الشهير، ولد حوالي سنة ٣٦٤ للهجرة في الديلم جنوب "جيلان" على بحر قزوين في أسرةٍ وضيعةٍ نزحت في طلب الرزق إلى بغداد، وبغداد يومئذ خاضعة لنفوذ البويهيين (أنظر: موسى، ١٩٦١، ص٢٢).

قد نشأ مهيار في بغداد مجوسيًا على دين آبائه وعنى أبوه بتعليمه العربية، فلمّا شبّ سكن في "درب رباح" أحد أحياء ناحية الكرخ ببغداد وهي منطقة عرفت بتجمع الشيعة الإمامية فيها (أنظر: إبن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٥، ص٢٦٠)، حيث التحق كاتباً ومترجماً بالدواوين، وقد لزم الشريف الرضي الذي كان كريماً محبوباً فأثّر في مهيار تأثيراً بالغاً في مذاهبه الشعرية والفكرية وكذا الدينية، إذ يرى بعض المؤرخين أن إسلامه كان على يديه سنة ٣٩٤ للهجرة كما تخرّج عليه في الأدب العربي.

توفي مهيار سنة ٤٢٨هـ وقد ترك ديواناً ضخماً في أربعة أجزاء يضمّ أكثر من عشرين ألف بيت، ممّا يضعه في مقدمة الشعراء الذين عرفوا بوفرة الإنتاج وكثرته (أنظر: أبو الفرج الاصفهاني، ١٩٨٦، ج٧، ص٢٤٩).

الإمام علي عليه السلام في شعر مهيار الديلمي

قد نظم مهيار حوالي مائتي بيت في أهل البيت عليهم السلام ، وقد خصص مائة ونيف بيت منها في شأن الإمام علي عليه السلام .

لقد اعتنت هذه الدراسة بجميع الأبيات التي وردت في شأن الإمام علي عليه السلام ، إذ قمت بتصنيفها حسب الموضوعات وهي كالآتي:

الإمام علي عليه السلام وموضوع السقيفة

تعتقد الشيعة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقبض حتى أوصى إلى من يقوم بأمره بعده، ولم يترك أمته هملاً، كما يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج من الدّنيا حتى نصّ بالخلافة على علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد قال فيه يوم غدير خم: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، إذ قال له عمر: «بخٍ بخٍ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة» (الأميني النجفي، ١٩٧٧، ج١، ص٨٩).

وأما أهل السّنة فإنهم لا يوافقون الشيعة في اعتقادهم، زاعمين «أن الله اختار للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما عنده [كناية عن وفاة النبي] فخلّى عن الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم» (الدينوري، ١٤١٣، ج١، ص٣٢).

وقد تطرّق مهيار إلى هذه القضية في إحدى قصائده قائلاً:

أَلله يا قومُ يقضي "النبيُّ" مُطاعاً فيَعْصى وما غُسِّلا!
ويوصِي فنخرُصُ دعوى عليـ ـه في تركه دينَه مُهمَلا![1]
ويجتمعون على زعمهم وينبيك "سعدٌ" بما أشكلا
فَيُعقبُ إجماعُهم أن يبيـ ـت مفضولهم يقدُمُ الأفضلا

(الديلمي، ١٩٢٥، ج٣، ص٥٠)

ويشير الشاعر ـ هنا ـ إلى عدم إطاعة أكثر المسلمين يومها أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في خلافة علي عليه السلام، فاجتمعوا في السقيفة قبل أن يتمّ تغسيل الجسد الشريف للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وقد أرادوا بهذا الاجتماع أن يعينوا له وصياً، وكأنه إجماع من الأمة على تقديم المفضول على الأفضل، وقد نوّه سعد بن عباده زعيم الأنصار بها.

وفي الأبيات التالية يطعن الشاعر في هؤلاء القوم الذين اجتمعوا في السقيفة وبايعوا أبا بكر، وقد جعلوا الإجماع حجتهم في هذا الاختيار، بينما الأمر كان واضحاً أشد الوضوح، وقد بلغ النص من الصراحة مبلغاً لا تشوبه أية شبهة حتى يستدعي اللجوء إلى اجتماع وإجماع، وحتى هذا الإجماع على فرض التسليم به كوسيلة فإنه لم تتوفر فيه الشروط الصحيحة ومنها عدم اتفاق كافة المسلمين على هذا الاختيار ذاكراً أهمّ من لم يشترك فيه ومن امتنع حتى بعد الإجبار، كعلي عليه السلام والعباس عمّ النبي وزعماء الأنصار (المظفر، ١٣٨٩، ص٣٣).

---

١. خرص: كذب

وفيم صيّرتم الإجماعَ حجّتكَم ... والناسُ ما اتّفقوا طوعاً ولا اجتمعوا
أمرُ "عليّ" بعيدٌ من مشورته ... مُستَكرهٌ فيه و"العبّاسُ" يمتنعُ
وتدّعيه "قريشٌ" بالقرابة والـ ... أنصارُ لا رُفُعٌ فيها ولا وُضُعُ
فأيُّ خُلفٍ كخُلفٍ كان بينكم ... لولا تُلفَّقُ أخبارٌ وتُصطَنَعُ

(الديلمي، ١٩٢٥، ج٢، ص١٨٣)

ويخاطب أمير المؤمنين علي عليه السلام في قصيدة أخرى مبدياً رأيه فيما قام به القوم قائلاً:

ما "لقريشٍ" ما ذَقَتكَ عهدَها ... ودامجَتك ودَّها على دَخَل[١]
وطالَبتَكَ عن قديم غِلّها ... بعد أخيك بالتَّراتِ والذَحَل[٢]
وكيف ضمّوا أمرهم واجتَمعوا ... فاستوزروا الرأيَ وأنت مُنعِزل[٣]

(م.ن، ج٣، صص١١٢-١١٣)

ويبدو من هذه الأبيات الثلاثة أن الشاعر يربط موضوع السقيفة وما وقع فيها بأحقاد قديمة كانت تضمرها قلوب قريش حتى أظهروها في ذاك اليوم، وربما أنه ألمح تلميحاً إلى ما خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً قائلاً: «ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعد أحقاد بدر وترات أحد» (الكوفي، د.ت، ص٧٣).

ويحتجّ الشاعر في أبيات أخرى على إثبات أحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافة مستنداً إلى الروايات المأثورة عن واقعة "غدير خم" وهو يسائل قريشاً قائلاً:

واسألهم "يومَ خُم" بعد ما عقدوا ... له الولايةَ لِم خانوا ولِم خَلَعوا
قولٌ صحيحٌ ونياتٌ بها نَغَل ... لا ينفع السيفَ صَقلٌ تحته طَبَعُ[٤]
إنكارُهم يا أميرَ المؤمنين لها ... بعدَ اعترافِهم عارٌ به ادَّرعوا[٥]
ونكثُهُم بك ميلا عن وصيتهم ... شَرعٌ لِعمرك ثانٍ بعده شَرَعوا[٦]

---

١. ماذقتك: شابت ودّها ولم تخلص/ الدخل: الخُداع والغَش.
٢. طالبة بحقه مطالبة وطلاباً: طلبه منه / الغلّ: الحقد / التراث: جمع ثرة وهي الثأر / الذحل: الثأر او الحقد والعداوة.
٣. استوزره: جعله وزيراً.
٤. نغل: الضغن وسوء النية / الطبع: الصدأ.
٥. ادّرعوا: لبسوا الدرع.
٦. نكث العهد أو اليمين أو البيعة: نبذها / الشرع: الطريق.

(الديلمي، ج٢، صص١٨٣-١٨٤)

فذلك العهد الذي نصّ على خلافة علي عليه السلام يوم غدير خم نساه أو تناساه كثير من المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنهم تظاهروا بالقبول والطاعة لأمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بتنصيب علي عليه السلام في حين كانوا يضمرون في قلوبهم نوايا خاصّة واغتصاب حق علي عليه السلام، كأنّهم سيف صقيل يخفي تحته صداً وما انتهى نكثهم بهذا بل إنهم شرعوا بأعمال أخرى من ظلم وجور وعدوان.

وقد قال أحمد نسيم المصري، شارح الديوان في تعريفه لـ "غدير خم": هو غدير خم بين مكة والمدينة، قيل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب الناس عنده فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (الديوان، ج٢، ص١٨٣).

وقد ردّ عليه العلامة الاميني، صاحب كتاب الغدير بأن الاتيان بكلمة «قيل» يدل على ضعف الحديث وليت شعري هل خفي على الأستاذ تواتر ذلك الحديث المروي عن مائة صحابي، أم حبّذته نزعاته الطائفية أن يستر الحقيقة على القارئ وغيره (أنظر: الأميني النجفي، ١٩٧٧، ج٤، ص٢٣٤).

وقد كررّ مهيار ما تناقلته الشيعة حول بيعة الغدير، وكيف أن الذين حضروا البيعة أنكروها، والمراد قريشاً وأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو يقول:

ألا سَل "قريشاً" ولمُ منهم	من استوجب اللومَ او فَنِّدِ
وقل: ما لكم بعد طولِ الضّلا	ل لم تشكروا نعمةَ المرَشِدِ
أتاكم على فَترةٍ فاستقام	بكم جائرينَ عنِ المقصدِ
وولَّى حميداً إلى ربّه	ومن سنَّ ما سَنَّه يُحمَدِ
وقد جَعلَ الأمرَ من بعده	"لحيدر" بالخبرِ المسُنَدِ
وسمّاه مولى بإقرارِ مَن	لو اتَّبَع الحقَّ لم يجَحَدِ
فملتم بها حسدَ الفضلِ عنه	ومن يكُ خيرَ الورى يحُسَدِ

(الديلمي، ج١، ص٢٩٩)

يلوم الشاعر ـ هنا ـ قريشاً لعدم اهتمامهم بوصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافة بعد وفاته ولو كانوا يقدرون الموقف مما قدّمه لهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لقاموا بأداء ذلك وردٍّ جميلٍ عمّا تحمّله النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المشاق والمتاعب في سبيل هدايتهم وإرشادهم إلى

الصراط المستقيم وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

وأخيراً يقرر الشاعر في هذه القضية أن حق الخلافة ـ إذا سلمنا به كميراث كما ادعى القوم ـ فإن أصحابه الشرعيين سيكونون علياً وأبناءه عليهم السلام قائلا:

وإرثُ "علـــي" لأولاده إذا آيـةُ الإرثِ لـم تُفسَدِ

(الديلمي، ج١، ص٢٩٩)

مناقب الإمام علي عليه السلام

إن مهيار الديلمي يأتي في الأبيات التالية بأدلة أخرى للتأكيد على أحقيّة علي عليه السلام للخلافة، وهو يفرض صحة إنكارهم لواقعة غدير خم، ويحتجّ بمناقب الإمام عليه السلام البارزة في ترسيخ دعائم الرسالة المحمّدية في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعدها:

وَهَبِ "الـغديرَ" أبوا عليه قبولَه نهياً؟ فقل عُدّوا سواه مَساعيا
"بدراً" و"أحداً" أختها من بعدها و"حـنين" وقـاراً بِهِـنّ فَصـاليا[1]
والصخرةَ الصَمّاءَ أخفى تحتها مـاءً وغـير يديـهِ لم يـكُ سـاقيا
وتـدبرّوا خـبرَ اليهـود "بخيـبر" وارضُوا "بمرحَب" وهو خصمٌ قاضيا
هل كان ذاك الحصنُ يَرهَب هادِماً أو كان ذاك البـاب يَفـرَقُ داحيا[2]
وتفكّـروا في أمـرِ "عمـروٍ" اوّلاً وتفكـروا في أمـر "عمـروٍ" ثانيـا
أسـدانِ كانـا مـن فـرائسِ سيفه ولقلّمـا هابـا سـواه مُـدانيا
ورجال "ضبَّة" عاقدي حُجُزاتهم يوم "البُصَيرة" من "مَعينَ" تفانيا[3]
ضُغِموا بنـابٍ واحـدٍ ولطالما از دردوا أراقـمَ قبلـها وأفاعيـا[4]
ولخطبُ "صفينَ" أجلُّ وعندك الـ خـبرُ اليقينِ إذا سـألت "معاويـا"
لم يعتصـم بـالمكر إلا عالمـاً أن ليسَ إن صدقَ الكريهةَ ناجيا
خَلَـعَ الأمانـةَ فارتَـدى بمَعَـرّةٍ وسَـمَت جبـاهَ التـابعينَ مَخازيـا[5]

---

١. وقّارا: شادّاً بلجام الدابة لتسكن، صاليا: صال عليه: سطا عليه ليقهره.

٢. الداحي: الدافع.

٣. الحجزات: واحدة: الحجزة، وهي موضع شدّ الازار من الوسط / معين: اسم مدينة باليمن أو هو حصن بها / تفانى القوم: افنى بعضهم بعضاً في الحرب.

٤. ضغموا: عضّوا بملء الفم.

٥. المعرّة: الإثم، العيب المكروه.

وأحـقُّ بـالتمييز عنـد "محمَّـد" مـن كـان سـامى منكبَيـه راقيـا[1]
وأبـرُّهم مَـن كـان عنـه مُوَقّيـاً حوبـاءَهُ فـوق الفـراشِ وفاديـا[2]

(م.ن، ج٤، صص٢٠٠-٢٠١)

وقد قال الأستاذ أحمد نسيم مصري شارح ديوان مهيار الديلمي في شرح كلمة "النهي" الموجودة في البيت الأول «النهي: الغدير أو شبهه وللإمام علي عليه السلام وقعة تسمّى بوقعة غدير خم والشاعر يشير إليها» (الديلمي، ١٩٢٥، ج٤، ص٢٠٠). وقد عاب عليه العلامة الأميني ـ صاحب موسوعة الغدير الشهيرة ـ بأن الشارح قد بدّل «البغي» الموجودة في مخطوط ديوان الشاعر بـ"النهي" وقد قصد منه وقعة غدير خم ويؤاخذه العلامة بأن مهيار الشاعر المتظلّع الفحل كيف قد أراد من "البغي" "النهي"! وما ذكرت هذه الوقعة من قبل مؤرخي الحروب المذكورة في تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعدها! (الأميني النجفي، ١٩٧٧، ج٢، صص٢٣٧-٢٣٨).

وكثير من مناقب الامام علي عليه السلام المذكورة في شعر مهيار، قد وردت في المصادر التاريخية القديمة ونشير إليها على ترتيب ما جاء به الشاعر في هذه الأبيات.

في يوم بدر قتل الإمام علي عليه السلام ـ وكان أصغر القوم سناً ـ كثيراً من أبطال قريش في معركة حاسمة في تاريخ الإسلام ومن أشهرهم الوليد بن عتبة بن ربيعة (الواقدي، ١٣٠٩، ج١، ص٢٢٦). وهذه المفخرة إحدى من المفاخر الكثيرة التي سجّلها الإمام علي عليه السلام على صفحات التاريخ الإنساني.

وفي يوم أحد قُتل حامل لواء المشركين طلحة بن أبى طلحة بن العزى بن عثمان بيد علي عليه السلام (م.ن، ج١، ص٦٩).

وأما في يوم حنين قد جاء في التاريخ أنه قتل الإمام علي عليه السلام أبا جرول ـ رجلا من هوازن ـ وانهزم المشركون إثر قتله (المفيد، ١٣٤٦، ج١، صص١٢٩-١٣٠).

والبيت الثالث يلمح إلى ما روي عن علي عليه السلام لما كان متوجهاً إلى صفين، لحق أصحابه عطشا شديداً فإذا براهب في صومعته فسألوه عن موضع الماء فأجابهم بأن الماء ليحمل علينا من قريب من فرسخين فتركوه وأقبل علي عليه السلام إلى موضع ثم أشار إلى مكان منه وقال احفروا هنا فحفروا قليلاً فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع فاجتهدوا في قلعها اجتهاداً

---

١. منكب: مجتمع رأس العضد والكتف.
٢. الحوباء: النفس / وفد على القوم: قدم وورد رسولاً.

عظيماً، ولم يقدروا لها فنزل علي عن فرسه ثم دنا من الصخرة وقال بسم الله ثم رفعها فإذا بعين من الماء لم ير الناس أعذب منها ولا أصفى، فشرب القوم ثم أعاد الصخرة إلى موضعها وأمر أن يعفى أثرها بالتراب، فاطلع الراهب على تلك العين، وقال: ما استخرجها إلا نبي أو وصي ولقد شرب منها سبعون نبياً وسبعون وصياً وأسلم الراهب على يد الإمام علي عليه السلام وصاحب الإمام حتى صار إلى صفين وقاتل فقتل (الكوفي، ١٩٨٦، ج١، ص٥٧٧).

وفي البيتين التاليين يشير الشاعر إلى خروج الإمام علي عليه السلام يوم وقعة خيبر «فلما دنا من الحصن ضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول عليّ باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ فاجتمع ثمانية من أصحابه وحاولوا أن يقلبوا الباب فما استطاعوا» (الطبري، ١٨٧٩، ج٢، ص٣٠١). و«مرحب» المذكور في الشطر الثاني هو رجل يهودي ـ صاحب حصن خيبر ـ جمع سلاحه وخرج من الحصن يرتجز:

قد علمت خيبر أني مرحب　　شاكي السلاح بطل مجرّب

فقال علي عليه السلام:

أنا الذي سمّتني أمي حَيدَرَة　　أكيلكم بالسيف كيل السَندَرَة

ليثٌ بغاباتٍ شديد قَسوَرَة

فضربه الإمام حيث قدّ المغفر رأسه، وفتح الحصن بأيدي المسلمين (الطبري، ١٨٧٩، ج٢، ص٣٠١).

وفي البيت السادس أراد من "عمرو" عمرو بن عبد ود وهو أحد أبطال العرب الذي قتله الإمام في وقعة الخندق (الطبري، ١٨٧٩، ج٢، ص٢٤٠). ثم يشير الشاعر إلى قصة عمرو بن العاص في معركة صفين عند قتاله علياً عليه السلام فلما أحس بهلاكه كشف عن سوأته فنحى عليّ عنه وجهه فهرب (الدينوري، ١٩٩٠، ج١، ص١٢٧).

وقد أشار إلى ذلك أبو فراس الحمداني في قوله:

ولا خيرَ في دفعِ الرَدَى بمَذلّة　　كما رَدَّها يوما بسوأته عمرو

(الحمداني، ١٩٩٤، ص١٦٥)

وأما في يوم الجمل حيث أن الإمام عليه السلام هزم بني ضبّة ـ قبيلة جاءت من اليمن ـ وهم كانوا على أتم الاستعداد للحرب وقد كانوا قبل ذلك احتقروا معاديهم وخصومهم في معارك

عديدة (اعثم الكوفي، ١٩٨٦، ج١، ص٤٨٤)، وهو ما أشار له الشاعر في البيتين الثامن والتاسع.

ثم في الأبيات الثلاثة التالية، يعرض الشاعر للخدعة الكبرى التي لجأ إليها معاوية في معركة صفين كي لا يتحقق الانتصار لعلي عليه السلام فرفع المصاحف طالباً جعلها حكماً بين المسلمين (الطبري، ١٨٧٩، ج٣، ص٣٤).

وفي البيت الثالث عشر إشارة إلى يوم فتح مكة لمّا علا علي عليه السلام منكبي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهدم الأصنام التي كانت حول الكعبة (الطبرسي، ١٩٨٣، ج١، ص١٢٧).

وفي البيت الأخير إشارة إلى «ليلة المبيت» وهي تلك الليلة التي نام الإمام عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكي يتمكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الهجرة السرّية من مكة إلى المدينة، ويمنع قريش من قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المفيد، ١٣٤٦، ج١، صص٤٣-٤٤).

ثم يقول الشاعر في موضع آخر من ديوانه:

الصنوُ أنت والوصيُ دونَهم ... ووارثُ العلمِ وصاحبُ الرسلِ
وآكلُ الطّائر والطَارد للصِّـ ... ـل ومَن كَلّمَه قبلك صِلّ؟![1]
وخاصفُ النعلِ وذو الخاتمِ والـ ... ـمُهل في يوم القَليب والمُعِلّ[2]
وفاصلُ القضيةِ العسراء في ... "يوم الحنين" وهو حكمٌ ما فَصَل
ورجعةُ الشّمسِ عليك نبأ ... تشعّبُ الألبابُ فيه وتَضِل

(الديلمي، ج٣، ص١١٥)

يذكر الشاعر في هذه الأبيات بعض مناقب علي عليه السلام الذي تفرّد بها الإمام ولا يشاركه فيها أيّ أحد، ومنها أنه وصيّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ووارث علمه مستنداً إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «خازن سرّي علي» (الاعلمي، ١٩٨٨م، ص٣٤٤)، وحديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (ابن المغازلي، ١٩٩٢، ص١١٦).

و"أكل الطائر"، إشارة إلى ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا والطير المشوي عنده يريد أكله بقوله: "اللهم ائتني بأحبّ الخلق إليّ وإليك يأكل معي من هذا الطير" فلم يأته غير علي عليه السلام (الطبرسي، ١٩٨٣م، ج١، ص١٢٤)، ثم يلمح مهيار إلى قضية الأفعى التي ظهرت في المسجد فكلّمها الإمام وأخرجها من المسجد (ابن شهر اشوب، ١٩٨٥م، ج٣، ص٢٨٢).

---

١. الصِّل: الثعبان.

٢. انهل العطشان: سقاه حتى روي / القليب: البئر / علّ فلاناً: سقاه السقية الثانية.

وأما رواية "خاصف النعل" فقد جاء أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم الحديبية: «يا معشر قريش لتنتهوا أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم على الدين امتحن الله قلبه بالإيمان. قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال هو خاصف النعل»، وكان أعطى علياً نعله يخصفها (ابن شهر اشوب، ١٩٨٥، ج٣، ص٤٤).

و"ذو الخاتم" إشارة إلى تصدّق الإمام علي عليه السلام بخاتمه وهو راكعٌ في الصلاة (ابن جبرائيل، د.ت، ص٧١). وقد نزلت في شأنه هذه الآية المباركة: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ (المائدة/٥٥).

و"يوم القليب" تلميح إلى ما أصاب المسلمين من عطش شديد في عمرة الحديبية، ولم يجدوا بها ماء وكل من بعثه النبي للإتيان بالماء لم يتمكن منه لشدة الرعب فدعا الرسول علياً صلى الله عليه وآله وسلم فأرسله بالرّوايا حتى ورد الماء واستقى ثم أقبل بها إلى النبي ودعا له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بخير (المفيد، ١٣٤٦، ج١، صص١٠٨-١٠٩).

وأما "رجعة الشمس" في البيت الأخير فهي رواية نقلها ابن شهر آشوب عن الكليني إذ أن الشمس ردّت مرتين للإمام واحدة منها في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأخرى بعد وفاته (ابن جبرائيل، د.ت، ص ٦٨).

ويقول مهيار في موضع آخر:

وأبوكـــم المُفضـى إليـه جـدُّكُم ما كان من "موسى" إلى "هـارون"

(الديلمي، ج٤، ص١٢١)

وفي ذلك إشارة إلى خطاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي عليه السلام قبل غزوة تبوك: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" (ابن المغازلي، ١٩٩٢، ص٧٩).

فقد أشار مهيار الديلمي إلى بعض المناقب والمفاخر المروية عن الإمام علي عليه السلام في المصادر التاريخية والدينية واستند عليها كأدلةٍ في إثبات أحقية الإمام عليه السلام بالخلافة.

الإمام علي عليه السلام والخلفاء الثلاثة

يعتبر مهيار الديلمي قضية الخلافة وحرمان الإمام علي عليه السلام من ولاية أمر المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سبباً في مقتل الحسين عليه السلام فيقول:

سلامٌ على الإسلامِ بعدك أنهم يسومونه بالجور خُطّةِ خاسفِ[١]
وجدّدها "بالطَفِّ" بابنك عُصبةٌ أباحوا لذاك القَرفِ حَكّةِ قارفِ[٢]

(الديلمي، ج٢، ص٢٦١)

ويقول في موضع آخر:

"أمية" لابسةُ عارها أو إن خَفِي الثأرُ أو حُصِّلا
فيومُ "السقيفة" يابن النبـ ـي طَرَّق يومك في "كربلا"
وغضبُ أبيكَ على حقِّهِ وأمّك حَسَّنَ أن تُقتَلا

(م.ن، ج٣، ص١٥٠)

يرى الشاعر أن يوم السقيفة قد تكرّر في واقعة "الطف" بأيدي الظّالمين حيث اغتصبوا حقّ الإمام الحسين عليه السلام في الخلافة كما حُرم أبوه ـ الإمام علي عليه السلام ـ من حقه، وإن مهيار لا يرى عملهم هذا أمراً مبتدعاً حديثاً بل إنهم اتّبعوا طريق الخلفاء الثلاثة في غصب حق علي عليه السلام في الخلافة ويضع مسؤولية استشهاد الحسين بن علي عليه السلام على كاهل الخلفاء الثلاثة قائلاً:

وما الخبيثانِ "ابن هند"* وابنُه وإن طغى خطبُهُما بعد وجَلّ
بمبدعَينِ في الذي جاءا به وانّما تَقَفّيا تلك السبلَ

(م.ن، ج٣، ص١١٥)

وفي موضع آخر:

وما "آل حرب" جَنَوا إنمّا أعادوا الضّلال على من بُدِي

(م.ن، ج١، ص٣٠٠)

فمهيار في عرضه التاريخي يتعرض للخلفاء الثلاثة أكثر من تعرضه لآل أميّة، فإنهم برأيه هم الذين بدءوا بإقامة الضلال والانحراف عن جادّة الحق واغتصبوا حق الامام عليه السلام المشروع في الخلافة ثم اتّبعهم بنو أمية وفعلوا بالحسين عليه السلام في واقعة "الطف" نظير ما فعله الخلفاء السابقون بالنسبة إلى أبيه الإمام علي عليه السلام فغصبوا حقهما: الوالد والولد.

---

١. خسف فلاناً: أذلّه وحمّله ما يكره.
٢. الطّف: شاطئ الفرات الذي قتل به الحسين عليه السلام / القرف: البغي.
* ابن هند: هو معاوية بن أبي سفيان سمي هنا باسم أمّه وابنه يزيد.

ويؤكد مهيار على أفضلية الإمام على الخلفاء الذين سبقوه إذ يقول في إحدى قصائده:

وقائـل لي "علـي" كـان وارثَـه ... بالنّصِّ منه، فهل أعطوه أم منعوا؟
فقلتُ كانت هَنـاتٌ لستُ أذكرها ... يجزي بها اللهُ أقواماً بما صَنَعوا[1]
أبلـغ رجـالاً اذا سمَيّـتَهم عُرِفـوا ... لهـم وجـوهٌ مـن الشَّحناء تُمتَقَـعُ[2]
توافقـوا وقنـاةُ الـدينِ مائلـةٌ ... فحين قامَت تَلاحوا فيه واقتَرعوا[3]
أطـاع أوَّلُهـم في الغـدر ثـانيَهم ... وجـاء ثالثُـهم يقفـو ويتَّبِـع
قفوا على نظرٍ في الحقِّ نفرضه ... والعقـل يَفصـل والمحجـوجُ ينقطـعُ
بـأيّ حكـمٍ بنـوه يتبعـونُكُم ... وفخـرُكم أنّكـم صُـحبٌ لـه تَبَـع
وكيف ضاقت على الأهلينِ تربتُه ... وللأجانـبِ مِـن جَنبيـهِ مُضـطَجَعُ

(الديلمي، ج٢، صص١٨٢-١٨٣)

وهنـا يشـير الشـاعر إلى قضـية الخلافـة والـتي يمكننـا أن ننقلها عـن لسـان علـي عليه السلام في الخطبة الشقشقية (نهج البلاغة، الخطبة الثالثة):

أمـا واللّه لقـد تقمّصـها فـلان وإنـه ليعلم أنّ محلـي منـها محـل القطـب مـن الرحـى..... فصـبرت وفي العـين قـذى وفي الحلـق شـجا، أرى تراثـي نهبـا..... حـتى مضـى الأول لسـبيله، ثم أدلى بها إلى الثاني من بعده..... فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم، فيا للّه وللشورى!..... الى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال اللّه خضمة الابل نبتة الربيع.[4]

ويستعيد الشاعر هذه القضايا في الأبيات التالية التي يخاطب بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

قضيتَ فأرمَضَنا مـا قضيتَ ... وشـرعُك قـد تمَّ واسـتكملا[5]
فـرامَ ابـنُ عمّـك فيمـا سَنَنـ ... ـتَ أن يتقبَّـل أو يَمـثُلا[6]
فخانـك فيـه مِـن الغادريـ ... ـن مَـن غَيَّـرَ الحَـقَّ أوبَـدَّلا

---

١. الهناة: الداهية: (ج) هنوات وكناية عن الرجل يقال يا هناة أقبل.
٢. الشحناء: الحقد والعداوة والبغضاء / تمتقع: امتقع لونه: تغير من حزن او فزع او مرض.
٣. تلاحوا: (تلاحى) الرجلان: تنازعا وتشاتما / اقترعوا على شيء: ضربوا القرعة.
٤. نافجاً حضنيه: رافعاً لهما، يقال للمتكبر/ النثيل: الروث وقذَر الدواب/معتلف: موضع العلف / الخضم: أكل الشيء الرطب.
٥. ارمضنا: أحرقنا غيظاً.
٦. مثل الرجل بين يدي فلان: قام بين يديه منتصبا.

إلى أن تحلّت بها "تيمها" وأضحَت "بنو هاشم" عُطّلا
ولما سرى أمرُ "تيم" أطا لَ بيتُ "عَدي" لها الأحبَلا[1]
ومدَّت "أميّة" أعناقَها وقد هُوِّنَ الخطبُ واستُسهِلا

(الديلمي، ج٣، ص٥١)

يوضّح الشّاعر من خلال هذه الأبيات أن الخلافة التي كانت أمراً مفروضاً لعلي عليه السلام، قد سلبت منه ومن بني هاشم بغير الحق، واغتصبها لأول مرة "أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة من تيم قريش" (الصفدي، ١٩٩١، ج٢٢، ص٤٥٩) حتى مضى لسبيله فأدلى بها إلى "عمر بن الخطاب بن نوفل... بن عدي بن كعب بن لؤي" (ابن خلكان، ١٩٧٧، ج٣)، وما لبث أن نقلها بحيلة إلى "عثمان بن عفان بن غالب القرشي الأموي" (السيوطي، ١٩٨٨، ص١٧٥). وهكذا قد هُوِّن خطب الخلافة واستسهلت حتى وصلت لبني أمية وفي تعبير الشاعر بـ(مدت أعناقها) بلاغة جميلة متناسبة مع البيت السابق في (أطال بنو عدي لها الأحبال).

و ما اكتفى مهيار في الحديث عن الخلفاء بهذا القدر بل وسّع في الكلام مخاطباً الإمام علياً عليه السلام:

وصاحب الشورى لما ذاك ترى عنك وقد ضايَقَه الموتُ عَدَل
و"الأموي" ما له أخّرَكم وخَصَّ قوماً بالعطاءِ والنَفَل[2]
ورَدّها عَجماء "كِسرويَّة"* يُضاع فيها الدينُ حفظاً للدول
كذاك حتى أنكروا مكانَه وهم عليك قَدّموه فَقَبِل

(الديلمي، ج٣، ص١١٣)

أو يقول:

فنال "ابن عفّانَ" ما لم يكن يُظَن، وما نال بل نُوِّلا
فقرّ وأنعمُ عيش يكو ن من قبله خشِنا قُلقُلا[3]
وقلبها "أردشيريّة"* فحرّقَ فيها بما أشعلا

---

١. حبل (مصدر حبل): تكوّن الولد في بطن أمه وحبلى: الأنثى الحامل. ج حبالى.

* الملك كسرى الأول، المعروف بأنوشِروان (الروحِ الخالدة)، هو من أشهر ملوك الفرس الساسانيين.

٢. النفل: الغنيمة والهبة.

* أردشير: المؤسس الحقيقي للدولة الساسانية عام ٢٢٦ الميلاد.

٣. قلقل الشيء قلقله وقلقالاً فتقلقل وقلقالاً: حرّكه فتحرّك واضطرب والقلقل: غير القار.

وســـــاروا فَساقـــوه أو أوردوه حيـاضَ الـرّدَى مَنهـلاً مَنـهلاً

(م.ن، ج٣، ص٥١)

فمن البيت الأول يشير الشاعر إلى الخليفة عمر، وهو على فراش الموت، قد جعل الخلافة شورى في ستة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم عثمان بن عفّان، وعبدالرّحمن بن عوف، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص، وجعل ابن عوف مرجحاً للكفة بمكيدة مدبرة فكان اختيارهم عثمان (الطبري، ١٨٧٩، ج٣، ص٢٩٢). وهذا القول المختصر للشاعر عندما يقول "وما نال بل نوّلا" دلالة وافية على هذا الأمر. ولم يلبث عثمان حكمه طويلاً حتى عدل عن حدود الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأسرف في صرف بيت المال، واختصه لبني أبيه وأقربائه ـ بعد أن كانوا يعيشون عيشة ضنكة ـ فعدل عثمان عن المبادئ الإسلامية المبنية على بساطة المعاش، فيرى مهيار الديلمي هذا الحكم أقرب إلى الحكم الإمبراطوري في الدولة الساسانية الإيرانية من الحكم الإسلامي وسمّاه "أردشيرية" أو"كسروية".

في البيتين الثالث والسابع نسبة إلى الحكم الوراثي. وهو ما أدى إلى أن يثور المسلمون عليه، فاشتعلت الثورة عليه، اشتعالاً أدى إلى قتله في سنة خمس وثلاثين للهجرة (م.ن، ص٣٩٩)، إلى أن فوّض الحكم إلى الإمام علي عليه السلام من قبل جميع الثوار والمسلمين وبايعوه بيعة عامة.

خلافة الإمام علي عليه السلام

وهناك سؤال: ما فعل الإمام علي عليه السلام إزاء هذه العداوة؟ هل قاومها أو تنازل عن حقه؟ فيجيب مهيار عن هذا السؤال في خطابه لأمير المؤمنين علي عليه السلام:

إنكارهـم يـا أميرَ المؤمنين لهـا بعـد اعترافِـهم عـارٌ بـه ادَّرَعـوا
ونكثهم بك ميـلاً عن وصيتـهم شـرعٌ لعمـرك ثـانٍ بعـده شَرَعـوا
تركتَ أمـراً ولو طالبتَهَ لَـدَرَت معاطـسٌ راغمـتَه كيـف تُجتـدع[1]
صبرتَ تحفظ أمرَ اللهِ ما اطّرَحوا ذبّاً عن الدين فاستيقظتَ إذ [هَجَعوا][2]
ليشرقن بحلـو اليوم مُـرّ غـد إذا حصدتَ لهم في الحشر ما زرعوا

(الديلمي، ج٢، ص١٨٣)

---

١. معاطس: واحده معطس: الانف / راغمته: راغم فلانا: هجره وعاداه.
٢. اطرّحه: طرحه: القاه / هجع: نام ليلاً.

ترك الإمام علي عليه السلام حقّه أمام الطغيان والتفاف كل قريش عليه حفظاً لدين الله كما أشار الشاعر في البيت الرابع وصبر أمام جور الجائرين حتى يحافظ على كيان الاسلام ويدفع عنه دسائس الأعداء فإن الحق سيظهر في يوم القيامة وسيُجزى الناس بما عملوا وزرعوا في الدنيا.

ما أسرف مهيار في تبيين موقف الإمام فإنه قد روي بأن أبا بكر لما تمت البيعة له، «أقام ثلاثة أيام يقيل الناس ويستقيلهم،، يقول قد أقلتكم في بيعتي، هل من كاره؟ هل من مبغض؟ فيقوم علي عليه السلام في أول الناس فيقول: والله لا نقيلك ولا نستقيلك أبدا ...» (الدينوري، ١٤١٣، ج١، ص٣٣). وقد أشار مهيار إلى هذه القضية قائلاً:

ودعاة الله استجابت رجالٌ ... لهم ثم بُدِّلوا فاستحالوا[1]
حملوها يوم "السقيفة" اوزا ... را تَخِفُّ الجبال وهي ثِقالُ
ثم جاوؤا من بعدها يستقيلو ... نَ وهيهات عثرةٌ لا تُقال![2]

(الديلمي، ج٣، ص١٦)

تحدثنا عن الخلفاء: أبى بكر، عمر وعثمان حتى وصلنا إلى فترة خلافة علي عليه السلام في سنة خمس وثلاثين للهجرة فبايعته المدينة، ولكن هذه البيعة لم ترض طلحة والزبير، وانضمت إليهما عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأعلنوا سخطهم، وولّوا وجوههم نحو البصرة يَجمعون الناس ضده فتبعهم علي عليه السلام ، ونزل في الكوفة، نشبت الحرب بين الفريقين في موقعة الجمل المشهورة بالبصرة، وانتصر علي عليه السلام فيها، وقُتل طلحة والزبير وانسحبت عائشة إلى المدينة (شوقي ضيف، ١٩٨٣، ص٥٩).

فإن أمير المؤمنين علي عليه السلام لمّا تولّى الحكم قضى بين الناس بالعدل وكان هذا الأمر صعباً لا يطاق لفئة من المسلمين، وأصبح من بواعث نشوب هذه المعركة:

ثم قسمتَ بالسّواءِ بينهم ... فعَظُم الخطبُ عليهم وثَقُل

(الديلمي، ج٣، صص١١٣-١١٤)

---

١. استحال الشيء: تحول وتغيّر.
٢. استقال: طلب ان يقال / اقال عثرته: صفح عنه وتجاوز.

وهذا يشابه قوله في خطابه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم :

ولما امتطاها "عليٌّ" أخو ... ك ردّ إلى الحقِّ فاستُثقِلا

(م.ن، ج٣، ص٥١)

ثم يقول:

فشُحِذَت تلك الظُّبا وحُفَرت ... تلك الزُّبى واُضرمت تلك الشُّعَل[١]

مواقفٌ في الغدر يكفي سُبَّة ... منها وعاراً لهُم "يومُ الجَمل"[٢]

يا ليتَ شعري عن أكفٍّ أرهَفَت ... لك المَواضي وانتَحَتك بالذُّبُل[٣]

واحتَطَبَت تبغيك بالشّر، على ... أي اعتذارٍ في المَعاد تتكِّل[٤]

أنسيَت صفقتَها أمسِ على ... يديك ألّا غيَرٌ ولا بَدَل؟

(الديلمي، ج٣، صص١١٣-١١٤)

فيتحدث مهيار في هذه الابيات عن كمال استعداد أصحاب الجمل للحرب، وما يري عملهم هذا الا عاراً وسبّةً لهم. ثم يخاطب في الأبيات التالية الإمام علي عليه السلام ويسأله عن تلك الأيادي التي شحذت السيوف للقتال وتمسّكت بالرّماح ابتغاء الشّرّ ونسيت بيعتها لعلي عليه السلام ويتمني الشاعر بأن يدري ما هو اعتذارها في يوم القيامة لهذا النكث.

وعن حصان أبرزَت يُكشَف باسـ ... تخراجها سترُ النبيِّ المنُسدَل[٥]

تطلب أمراً لم يكن ينصره ... بمثلها في الحرب إلّا من خذُل

(م.ن، ج٣، ص١١٤)

ويقصد بهذين البيتين عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي التحقت بالجيش الذي وقف أمام علي عليه السلام وتطلب هزيمته بينما لم تكن نتائج الحرب إلا خذلاناً وذلة.

---

١. شحذ السيف ونحوه: أحد سنانه / الزّبي: جمع زبية وهي الحفرة في موضع عال يصاد بها الذئب أو الأسد.

٢. السبّة: العار / يوم الجمل: سمي بذلك لركوب عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جملاً يوم جعلت تحرّض المسلمين على قتال علي عليه السلام .

٣. أرهفه: رقّعه وحدّده يقال: رهف سيفه / المواضي: السيوف الماضية / انتحى الشيء: قصده / الذبل: الرماح الدقيقة الطويلة.

٤. احتطب الحطب: جمعه.

٥. الحصان: السيدة المصونة ويريد بها عائشة زوجة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

يـا للرجـال و"لتَيمٍ" تـدّعي ثـأرَ «بـني أميّـة» وتنتحِـل[١]
وللقتيـــل يُلزمـــون دمَـــه وفيهم القاتل غيرَ من قَتَل

(م.ن، ج٣، ص١١٤)

ثم يبين الشاعر معاذير رجال "تيم" وانهم طالبوا بدم عثمان بينما ليس القاتل إلا واحدا منهم.

حـتى إذا دارَت رحـى بغـيُهم عليهم وسَبَقَ السيفُ العَذَل
وأنجـز النّكثُ العـذابَ فيهم بعد اعتزالٍ منهم بما مُطِل[٢]
عـاذوا بعفـو ماجـدٍ معـوَّدٍ للصبر حمّالٍ لهم على العلَل
فنجَّت البقيا عليهم من نجـا وأكلَ الحديدَ منهم من أكَل
فـاحتجّ قـومٌ بعـد ذاك لهـم بفاضحاتِ ربّها يوم الجَدَل
فقَلّ منـهم مـن لـوى ندامـةً عِنانَـه عـن المِصـاعِ فـاعتزل[٣]
وانتـزعَ العامـلَ مـن قناتـه فـرُدَّ بـالكُره فشَـدَّ فَحمَـل[٤]
والحالُ تُنبى أن ذاك لم يكن عـن توبـةٍ وانّمـا كـان فَشَـل
ومنـهم مـن تـابَ بعـد موتـه وليس بعد الموتِ للمرء عَمَل

(الديلمي، ج٣، ص١١٤)

ويتحدث الشاعر عن معركة "الجمل" وما وقع فيها، فإن رحى بغيهم دارت عليهم ولم تغنهم شيئا إذ نزل العذاب فيهم لنكثهم بعد أن كان بعيدا عنهم.

ثم إنهم اعتذروا من الإمام علي عليه السلام وهو الحليم المتعود على الصبر فقبل عذرهم، فهرب عدد منهم من المعركة أو بعد أن أصيب بجراحات وبعضهم الآخر قتُلوا في المعركة.

وأصبحت هذه المعركة حجة لفضيحة قائدها "عائشة" فيما بعد، وقلّ من ندم على الحضور في الحرب وآثر الابتعاد عن الساحة، وأكثرهم ما تابوا عن ذنبهم بل أصرّوا على الحرب، وبعضهم استمروا على موقفهم وما تابوا إلا بعد انقضاء العمر وفوات الفرصة لتدارك أخطاءه الماضية.

مهيار يشير إلى قضية استشهاد الإمام علي عليه السلام قائلاً:

---

١. ينتحل: يدعي.
٢. مطل فلانا حقّه وبحقّه: أجّل موعد الوفاء به مرة بعد الأخرى.
٣. المصاع: المجادلة.
٤. العامل: صدر الرمح وهو ما يلي السنان.

يـا لقـوم إذ يقتلـون "عليًّـا" وهـو للمَحـلِ فـيهم قتّـالُ[1]
ويُسـرّون بغضَـه وهـو لا تُقـ ـبَل إلّـا بحبّـه الأعمـالُ

(م.ن، ج٣، ص١٦)

يا للعجب من قوم يقومون بقتل إمامهم الذي جاء بالبركات فيهم وأزال الجدب والجوع بحضوره بينهم ويضمرون بغضه في قلوبهم بينما لا تقبل الأعمال إلا بحبّه.

مدح الإمام علي عليه السلام

أحبّ الشاعر الإمام علياً عليه السلام ومدحه فبلغه أن بعض حاسديه ينكر مدحه إياه فقال مخاطباً الإمام عليه السلام:

هل يُبلغنك يا "أبا الحسن" الذي جوزيتُ فيك وكان ضدّ جزائيا
من معشرٍ لمّا مدحتُك غِظتُهم فتناوشوا عِرضي وشَانوا شانيا[2]
اسمع ليُنصفني انتقامُك انهم بالجَور راضوني فجئتُك شاكيا
لما رأوا ما غاظَ مني شَنّعوا حاشاك أنّي قلتُ فيك مداجيا[3]
لا كـان إلا ميِّتـا ميثاقُـهُ مـن سَرَّه أن كان بعدَك باقيا
والله ينصـب لعنَـه وعذابَـه مَن قال فيك ومَن يقول مُرائيا[4]
والحقُّ لم اطلب بمدحك شكرَهم فيسـوءني أن يجعلـوه مِرائيـا[5]
بالقرب منك يهون عندي منهُم مَن كان بَرّاً بي فأصبَح جافيا

(م.ن، ج٤، ص٢٠٢)

ليس من البعيد أن المطاعن التي وجّهت إلى مهيار تدور حول نسبه غير العربي، وأصل دينه المجوسي واتهامه بالكفر بسبب ذمّه بعض الصحابة ومبالغته في وصف أهل البيت عليهم السلام بما يرفعهم أحيانا عن مستوى البشرية ويشمّ منه رائحة الرثاء. فيبدو أن أكثر معارضي مهيار الديلمي هم من أهل السّنة، وقد وقفوا أمامه بمطاعنهم هذه.

---

١. المحل: الجدب.
٢. غاظه: ـِ غيظاً: أغضبه أشدّ الغضب / تناوش القوم في القتال: تناول بعضهم بعضا بالرماح ولم يتدانوا كلّ التداني / شانوا: شانه ـِ شيناً: شوّهه وعابه.
٣. مداجيا: داجاه: ساتره بالعداوة ولم يبدها له.
٤. المرائي: أرأى الرجل إذا أظهر علماً صالحاً رياءً وسمعة فهو مرائي.
٥. مِرائي: ماراه مراءً ومماراةً: ناظره وجادله.

ثم يؤكّد الشّاعر أنه يستمرّ في مدائحه برغم أنف الطاعنين وسيجعل معانيها في قوة الجبال وقوافيها في لمعان النجوم، إجلالاً لما فعل الإمام علي عليه السلام وأبناؤه من نشر الإسلام في بلاد "فارس" ويصرّح بأن هذا الثّناء يقتضيه المحبّة والتعصّب لعلي وآله عليهم السلام:

وبـــرغمهم لأُســـيرنهَّا شُـــرَّداً ... ولأُتـبعنَّ منـها بـديئاً تاليـا[1]
غُـرّاً أقُـدُّ مـن الجبـال معانيـا ... فيهـا وألـتقطُ النجـومَ قوافيـا
شكراً لصنعك عند "فارسَ" أُسرتي ... وبمـا سـلمتَ تفـاؤلا وأياديـا[2]
وتعصُّـباً ومـودّةً لـك صـيّرا ... في حبّـك الشّـيعيَّ مـن إخوانيـا

(م.ن)

أو يقول:

يا صاحبَ الحوض غداً لا حُلّئَت ... نفسٌ تواليك عن العَذب النّهِل[3]
ولا تُسـلِّط قبضـةُ النّـار علـى ... عُنـقٍ إليـك بـالوداد يَنفَتِـل[4]
عاديتُ فيك الناسَ لم أحفِل بهم ... حـتى رمـوني عـن يـدٍ إلاّ الأقـل
تفرغـــوا يعترقـــون غيبـــة ... لحمي وفي مدحك عنهم لي شُغُل[5]
عدلتُ أن تَرضَى بأن يسخَطَ مَن ... تُقِلّـه الأرضُ علـيّ فاعتـدل[6]
ولـو يُشَـقّ البحـرُ ثم يلتقـي ... فِلقـاه فـوقي في هـواك لم أُبَـل

(م.ن، ج٣، ص١١٥)

الشاعر يحبّ علياً عليه السلام حبّا جمّا ويري أن حبه هذا سيورده على حوض الكوثر في يوم الحشر ولا يدخله نار جهنم، فإنه يمدح الإمام عليه السلام دون أن يهتم بمطاعن خصومه فيه أو غير ذلك من الأمور.

---

١. بدئ: أول الشيء، المخلوق، العجيب.
٢. أيادي: واحدها يد: قدرة، نعمة، طاعة.
٣. حلئت: منعت من الورود / وإلى فلانا: احبّه ونصره.
٤. انفتل: التوى.
٥. تفرغ من الشغل: تخلى وله تخلى له / يعترقون: ينزعون ما على العظم من اللحم وهي هنا بمعنى يأكلون.
٦. عدل: عدلاً وعدولاً: مال و(عدل) في أمره عدلاً وعدالة: استقام / أقلّ الشيء: حمله ورفعه / اعتدل: استقام.

وفي موضع آخر يبين الشاعر أنه إن فاته الزمان ليدافع عن حقّ الإمام عليه السلام بالسيف فما فاته أن يجاهد بالقول فإنّ اللسان أنفد من السّنان:

جاهدتُ فيك بقولي يوم تختصم الأ ... بطالُ إذ فاتَ سيفي يوم تمتصعُ[1]
إن اللّسان لوصّالٌ إلى طُرُقٍ ... في القلبِ لا تهتديها الذُّبَّلُ الشُّرُعُ[2]

(م.ن، ج٢، ص١٨٤)

ثم يفخر على عادته بأنه فارسي الأصل، عربي الدّين، وبأنّه يفع على حب علي عليه السلام حتى أضاء له الحب طريقه إلى الإسلام بعد أن محا ظلمات شكوكه:

آباي في "فارس" والدّينُ دينُكم ... حقّاً لقد طابَ لي أُسٌّ ومُرتَبَعُ
مازلتُ مذ يفعَت سني ألوذُ بكم ... حتّى محا حقُّكم شكّي وأنتجعَ[3]

(م.ن، ص١٨٤)

ثم يقول:

وقد مضَت فُرُطاتٌ إن كفلتَ بها ... فرّقتُ عن صحفي البأسَ الذي جمعوا[4]
"سلمانُ" فيها شفيعي وهو منك إذا الآ ... ـآء عندك في أبنائهم شفعوا

(م.ن، ص١٨٤)

يرى الشاعر أنه يستحقّ بشفاعة علي عليه السلام في ما بدر منه من فرطات قبل إسلامه فانه يتصل بهم عن طريق "سلمان الفارسي" إذ قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سلمان منا أهل البيت» (الطبري، ١٨٧٩، ج٢، ص٢٣٥). وكما أن الآباء يشفعون لأبناءهم، فإن شفاعة سلمان تشمله لكونه شيعياً فارسياً.

وقد تحدث الشاعر في بعض المواضع عن علاقته بسلمان الفارسي دليلاً على قدم الصّلة بين التشيّع والفرس، فليس من العجيب أن يحب أهل البيت عليهم السلام حبّاً جمّا وأخلص لهم الودّ رغم أنهم لا يكونون من جنسه، ولا يستبعد أن يقول في شأن علي عليه السلام:

---

١. تمتصع: تتجالد بالسيف.

٢. الذبل: واحده ذابل: يقال رمح ذابل: دقيق.

٣. يفع الشيء: علا وارتفع، ويفع الغلام: شبّ وترعرع / أسنّ: نبتت سنّه. وكبرت سنّه: عمره / انتجع (فلانا) قصده يطلب معروفه.

٤. فرطات: قال الله تعالى: وكان امره فرطاً وأمره فرطُ أي متروك ترك فيها الطاعة وغفل عنها، ويقال: إياك والفرط في الأمر (ابن المنظور، ١٩٨٨، ج٤، ص١٠٨٠).

ركبتُ القوافي ردف شوقي مطيَّةً ... تخُبُّ بجاري دمعي المترادفِ[١]
إلى غايةٍ من مدحِهِ إن بلغتُها ... هزأتُ بأذيال الرياحِ العواصفِ[٢]
وما أنا من تلك المفازةِ مدركٌ ... بِنفسي ولو عرّضتُها للمتَالِف
ولكن تؤدي الشهدَ إصبعُ ذائقٍ ... وتعلَقُ ريحَ المسكِ راحةُ دائفِ[٣]

(الديلمي، ج٢، ص٢٦٠)

يعتبر الشاعر هذه الأبيات في وصف الإمام علي عليه السلام شبيهاً بمطيّة يركبها والشوق يلازمه في هذه الطريق وكذلك رغبة ملحّة تنتابه دائماً ودموع الشوق جارية على خديه، وعندما يصل إلى الغاية من هذا المدح، فهو يباهي بذلك العواصف والرياح ويهزأ منها باعتبار أنه قد سبقها في هذه المضمار، والشاعر من جانب آخر يجد وادي المدح للإمام الفذّ علي عليه السلام وادٍ عميق ولو تعرّض له بنفسه لعلّ الهلاك ينتظره، لأن الغوص في هذا المكان يعرّض سالكه للخطر، فهو يعتقد أن المدح هذا لم يفِ إلّا القليل جدّاً من شخصية الإمام علي عليه السلام التي قلّما نرى نظيرها في الإسلام، بل في التاريخ الإنساني.

---

١. خبّ ـ خبّا وخببا: عدا.
٢. هزأ به ـَ هزءاً وهُزُوءاً: سخر به او منه.
٣. علق الشيء الشيءَ: نشب فيه واستمسك به / الدائف: الخالط الذي يخلط المسك بغيره من الطيب.

النتيجة

أهم النتايج التي قد حصلت عليها هذه المقالة كما يلي:

١. يرى مهيار الديلمي أنه كان من واجب الأمة الاسلامية أن يبايعوا الإمام علياً عليه السلام وحسب، وألّا يخطر ببالهم غير هذه المهمة الحاسمة المصيرية.

٢. يؤكد مهيار أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد نصّ على ولاية الامام علي عليه السلام في يوم غدير خم مضافاً الى تلك المناقب والخصال التي كانت للإمام دون الآخرين، وقد أفاد منها الشاعر في إثبات أحقيّة الإمام علي عليه السلام بالخلافة.

٣. قد اهتم الديلمي بقضية خلافة الإمام علي عليه السلام اهتماماً بالغاً، حيث جعلها محوراً عاماً لأشعاره العلوية وطبعها بلون سياسي أكثر من أن تكون بياناً لأحاسيسه وعواطفه إزاء هذه الشخصية الفذّة.

٤. أخذ مهيار الديلمي على بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين تجاهلوا هذه الحقيقة البينة في حين أن الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ليحدث أمراً من عند نفسه وإنما كان يصدع بما يؤمر.

٥. وأخيراً نرى أن الشاعر في أشعاره على اعتقاد بأن ما حدث في واقعة الطف هو امتداد ليوم السقيفة وما جرى في هذه الواقعة من أحداث مؤلمة بالنسبة الى أهل البيت عليهم السلام.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. نهج البلاغة

٣. الإصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (١٩٨٦م). *الأغاني*. بيروت: دار الكتب العلمية.

٤. الأعلمي، علاء الدين (١٩٨٨م). *نهج الفصاحة في أدب النبي* ﷺ . بيروت: مؤسسه الأعلمي للمطبوعات.

٥. الأميني النجفي، عبدالحسين (١٩٧٧م). *الغدير في الكتاب والسنّة والأدب*. بيروت: دار الكتاب العربي.

٦. إبن جبرائيل، شاذان (دون تا). *الفضائل*. بيروت: مؤسسه الأعلمي للمطبوعات.

٧. إبن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (١٩٩٢م). *المنتظم في تاريخ الامم والملوك*. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨. ابن خلكان، احمد بن محمد (١٩٧٧م). *وفيات الأعيان*. بيروت: دار صادر.

٩. ابن شهر آشوب، محمد بن علي (١٩٨٥م). *مناقب آل ابي طالب*. بيروت: دار الأضواء.

١٠. اعثم الكوفي، ابو محمد احمد (١٩٨٦). *الفتوح*. بيروت: دار الكتب العلمية.

١١. أنيس، إبراهيم؛ وآخرون (دون تا). *المعجم الوسيط*. طهران: انتشارات ناصر خسرو.

١٢. الحمداني، ابو فراس (١٩٩٤م). *الديوان*. شرح: خليل الدويهي. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٣. الديلمي، مهيار (١٩٢٥). *الديوان*. القاهرة: دار الكتب المصرية.

١٤. الدينوري، ابن قتيبة (١٤١٣). *الإمامة والسياسة*. تحقيق علي شيري. قم: منشورات الشريف الرضي.

١٥. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (١٩٨٦م). *تاريخ الخلفاء*. بيروت: دار القلم.

١٦. الصفدي، صلاح الدين خليل (١٩٩١م). *الوافي بالوفيات*. ويسبادن: دار النشر فرانزشتاينر ستوتغارت.

١٧. ضيف، شوقي (١٩٦٣م). *العصر الاسلامي*. القاهرة: دار المعارف.

١٨. الطبري، محمد بن جرير (١٨٧٩م). *تاريخ الطبري*. بيروت: مؤسسه الأعلمي للمطبوعات.

١٩. الطبرسي، احمد بن علي (١٩٨٣م). *الإحتجاج*. لبنان: مؤسسه الأعلمي للمطبوعات.

٢٠. الكوفي، سليم بن قيس (دون تا). *كتاب سليم بن قيس الكوفي*. بيروت: مؤسسه الأعلمي للمطبوعات.

٢١. المازندراني، ابن شهر آشوب (١٩٨٥م). *مناقب آل أبي طالب*. بيروت: دار الأضواء.

٢٢. المظفر، محمدرضا (١٩٧٣م). *السقيفة*. بيروت: مؤسسه الأعلمي للمطبوعات.

٢٣. مفيد، محمد بن محمد (١٣٧٧). *الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد*. طهران: دار الكتب الاسلامية.

٢٤. موسى، محمد علي (١٩٦١م). *مهيار الديلمي*. بيروت: دار الشرق الجديد.

٢٥. الواقدي، محمد بن عمر (١٣٠٩). *فتوح الشام*. القاهرة: المطبعة اليمينية.